

الفصل الثالث

[أسماء]

مضى نهارنا الأول في العمل طويلاً ومملاً حقاً، لا تقطعه أي فترات للراحة، بخلاف التي بالكاد حصلنا عليها لتناول الغداء الهزيل الذي زدونا به.. وللأسف وقتها لم يسمحوا لنا بالخروج من المنجم، بل تناولنا الطعام كل في موقعه، وعدنا بعدها للعمل دون أي راحة.. لذلك عندما سمعنا النفير المزعج الذي دلّ على انتهاء العمل، كما أوضح لنا الحارس، تنهدنا براحة وقمنا بدفع العربة شبه المليئة بالأحجار خارجاً ونحن غارقون في التعب والعرق والغبار.. بأيدي مسودة من غبار الأحجار ومتقطعة من العمل، وبأقدام متورمة لطول الوقوف ومتفرحة حتى لا أشك أنها أغرقت الحذاء بالدماء..

وعند خروجنا، ونحن نرى ما أمامنا بشيء من العسر بعد الظلام الذي كان يغمر أغلب المواقع في الأنفاق، لم نجد أن حال الآخرين بأفضل منا.. بل إن أحد الرجال كان يلف يده بخرقه بيضاء تلطخت ببعض الدماء، ربما جرح أثناء عمله، لكن لم يبد على أحد الرغبة بمعالجته.. أوقفنا العربات في موقعها، وساعدنا في تحميل محتوياتها في الحاويات التي فور امتلائها انطلقت في طريقها عبر السكة للمستودعات القريبة من الإدارة، وعلى كل حاوية حارسين بسلاحيهما، مما جعلني أتساءل عن الخطر الذي يهدد الحاويات في مكان كهذا..

وأخيراً، سُمح لنا بالعودة للمساكن، فخرجنا من البوابة بعد أن تم تفتيشنا بعناية مرة أخرى.. وطبعاً تذر الرجل الأجش من هذا، وإن استسلم لهم حتى انتهوا.. وفور خروجنا رأيت الفتاة الناعمة تقترب مني وتهمس "هل أنت بخير؟"

ابتسمت بجانب فمي معلقة "يجب أن أسألك أنت هذا السؤال.. تبدين بحالة مزرية" كانت بالفعل بحالة يرثى لها من التعب والإنهاك.. فلم يبد أن الحراس قد ترفقوا بها في العمل رغم ضعفها الجسدي.. لم تعلق على سؤالتي، فسرنا بصمت وتثاقل مع الآخرين في طريقنا عبر المساحة التي تفصلنا عن الغابة، مع النور الذي غرق وسط الظلمة التي بدأت تخيم على الكويكب.. لكن كان طريقنا مضاءً بأنوار متفرقة والتي بدا أنها تصل حتى المساكن..

بعد أن اجتزنا تلك المساحة المنبسطة، ودلفنا الغابة يتبعنا عدد من الحراس، انتبهت لنظرات تُلقى من حين لآخر حولنا.. كان أصحابها، وهم بعض الرجال الجدد الذين أتوا معنا في السفينة الفضائية، قد خففوا مشيهم وهم يتبادلون النظرات الحادة والتي بدا أنها تقول الكثير.. ترى أي حماقة يخططون لها؟.. لم أكد أنني تساؤلي حتى فوجئنا برجلين منهم ينقضان على حارسين قريبين، فيلكمانهما بقوة

كادت تسقطهم، قبل أن يستغلا الارتباك الذي جمّد الجميع وهما يهربان مع رفاقهم متخفين بين أشجار الغابة.. كانوا خمسة رجال، وقد رأيت شاباً آخر ليس منهم يسارع لاستغلال الفرصة والهرب بدوره وسط تصايح بقية الحراس..

تحامل الحارسان بعد الهجوم المباغت، فيما قام ثالث بالاتصال بالإدارة، وقام الحارسان الباقيان بالصياح في وجوهنا يأمراننا بالعودة للمسكن بصمت..

كان القدماء منا قد عادوا للمسكن دون تأخير، فيما بقي من بقي منا وهم بين مندهش لهذه الجراءة التي أقدم عليها أولئك الرجال، وبين متحسر على عدم استغلاله لتلك الفرصة التي قد تصبح نادرة فيما بعد.. لكن لم نتمّ أفكارنا عندما سمعنا تصايحاً من بعيد يحمل ألاماً لا توصف، فتجمدنا في مواقعنا نتبادل النظرات المدهشة.. كيف يمكن للمسؤولين في الإدارة تحديد الهاربين بدقة ومعرفة مواقعهم ومن ثم معاقبتهم؟ هل يحدث كل هذا بواسطة السوار في أيدينا؟..

زجرنا أحد الحراس قائلاً "هيا.. عودوا لمساكنكم دون إبطاء.. أولئك الحمقى قد نالوا جزاءهم على تجرؤهم عصيان الأوامر.."

عدتُ، تتبعتني الفتاة وتكاد تتشبث بثيابي، إلى المسكن وأنا أزفر بضيق.. تلك المحاولات الفاشلة تزيد من يأسني وتشعرنني بضيق عالمي الجديد الذي لا أملك منه فراراً.. رغم صمتي، واستسلامي الظاهر، إلا أنني في داخلي لم أقتنع بعد أنني سأعيش لسنوات هذه الحياة البائسة.. لست أقل من أولئك الرجال الذين حاولوا جهدهم التحرر من هذا الطوق، وإن كانت محاولاتهم فجّة نوعاً ما لا سبيل لنجاحها بأي حال..

لكنني أتأمل كل ما يجري بصبر وهدوء.. وفي يوم، لست أدري متى لكنه قادم لا محالة، سأمزق هذا الطوق وأستعيد حريتي بالتأكيد.. الصبر.. فقط قليل من الصبر وكثير من التخطيط..

عندما وصلنا إلى المسكن، فوجئنا بمن سبقونا وقوفاً وسط الساحة يحيط بهم جمع من الحراس.. وفور وصولنا أشار لنا أحد الحراس لننضم إليهم بصمت.. فأطعناه دون اعتراض والدهشة تغمرنا.. تتابع قدوم من بقي من السجناء، حتى تجمعنا، قرابة السبعين، في الساحة، بخلاف من حاولوا الهرب وسقطوا في أيدي الحراس..

بعد اجتماعنا، تقدم المساعد ليقف أمامنا غاضباً مقطب الجبين، وقال بحدة "ما حدث اليوم لن يمر مرور الكرام.. لقد أنذرناكم مراراً عن التصرف بحماقة.. وقد تجاهلتم كل هذا بغباء فاحش" قال الرجل الأجش من خلفي "لم نكن نحن لو لاحظت هذا.."

دست قدمه بشيء من الحق.. إنه يسعى لتوريطنا أكثر مما نحن فيه بالفعل.. سمعته يزمجر بغضب خلفي، فيما قال المساعد بحدة أشد "خطأ رجل من هذا المكان هو خطؤكم جميعاً.. والعقاب سينالكم

لكي تفكروا آلاف المرات قبل الاندفاع بحمق.. وعقابكم، سيكون بوقوفكم لبقية الليل هنا دون حراك.. ومن يحاول الاعتراض أو التحرك من موقعه فالحراس سيتأكدون أنه سينال جزاءه أمام الجميع..”
صاح أحد الرجال السمر بغضب “ما الذي يجبرنا على إطاعة أمر مجحف كهذا؟ لقد قضينا النهار بطوله في عمل متعب، ولن تسمحوا لنا بالراحة بعدها؟”

تلقي لكزات ممن حوله وأحدهم يصيح فيه بحنق “اصمت ولا تزد الأمر سوءاً..”
فقال المساعد تعليقاً على ذلك “استمع لقولهم فهم أكثر حكمة منك..”

وغادر تاركاً إيانا بالكاد نستطيع الوقوف بعد التعب الذي مررنا به طوال اليوم.. كان أمراً مجحفاً بالتأكيد.. فما ذنبنا نحن لنعاقب على شيء لم يكن لنا يد فيه؟ أهى الصفعة التي تسبق الذنب كي لا نفكر بارتكابه كما فعل جحا بابنه؟ هذا لن يجعلنا أكثر طاعة بالتأكيد بل سيزيد ثورة السجناء الذين يواجهون قرارات تعسفية كهذه..

كان بعضنا قد بدأ يتململ في وقفته، فيما وقف الحراس على مبعدة منا يشكلون طوقاً حولنا مشهرين أسلحتهم بتحفز تساءلت كم سيدوم.. لكن يحق لهم ذلك، فهم في مناوبة ليلية وقد قضوا النهار في نوم عميق، لذلك لا أستغرب النشاط البادي عليهم، مقابل التعاسة البادية على أغلبنا..

سمعت الأجش خلفي يغمغم “سأرد لك الصاع صاعين يا حمراء.. يكفيني المجهود الذي بذلته طوال النهار وهم يعاملونني كأى ثور حقول.. والآن قدمي تؤلني والفضل لك في ذلك”

غمغمت دون أن ألتفت ناحيته “تستحق ذلك، ما دمت لا تكف عن مناداتي بذلك اللقب الذي أكرهه..”
فقال بخفوت “حـ .. مـ .. ر .. اااااااا .. ء”

ركلته على ساقه بقوة ليكف عن ذلك، وفي المقابل تلقيت منه لكزة قوية في ظهري كادت تسقطني على وجهي.. لكنني أوقفت تقدمي بعد أن خطوت خطوة واحدة، ونظرت بتوجس للحارس القريب منا والذي كان ينظر لنا مقطباً.. ثم قال لنا “التزموا الهدوء وأطيعوا الأوامر، وأنا واثق أن الإدارة ستسمح لكم بالعودة لمساكنكم والراحة قبل مرور وقت طويل”

قال الأجش متذمراً “لو كانوا سيفعلون لما فرضوا علينا هذا العقاب..”

عاد الحارس يقول “أطع الأمر ولا تظلم رفاقك معك..”

غمغمت بصوت خافت متضجر “نحن لسنا رفاقاً له..”

شعرت بنظراته تحديق بي وتكاد تنقب مؤخرة رأسي، لكنني لم أستدر نحوه وأنا أتململ بضيق.. ونظرت قربي للفتاة الرقيقة لأجدها تكاد تصلب نفسها بصعوبة، وهي بالكاد تستطيع رفع رأسها.. يبدو أن العمل الذي قامت به، والذي لا أعلم ماهيته، كان أكبر من تحملها.. ولا ألومها على ذلك، فجسدها يبدو ضعيفاً لا يتحمل أي عمل يدوي..

عدت أنظر أمامي وأنا أزر بضيق، وأتساءل متى سيقدر المسؤولون أننا قد تلقينا ما يستحق من عقاب.. مرت لحظات تحولت لساعة ونحن بالكاد نستطيع الوقوف على أقدامنا التي تورمت.. كان ذلك عذاباً حقيقياً.. لو أبقونا جلوساً بدل الوقوف لكان ذلك أيسر بالنسبة لنا، لكن يبدو أنهم مصررون على تعذيبنا..

كانت الفتاة بعد مرور ما يقارب الساعة قد بلغت حداً كبيراً من الإنهاك، فقامت بإسنادها لئلا تسقط أرضاً، مستغلة وجود رجل أمامنا يغطيها عن أعين الحراس.. ومع ثقلها، كنت أشعر بتعب يتزايد أكثر فأكثر، وأنا أسمع التذمرات تتزايد من حولي وإن ظلت خافتة بعيدة عن سمع الحراس.. لو طال الوقت أكثر من ذلك، فنحن الاثنان سنسقط أرضاً رغم كل التحذيرات..

رأيت أحد الحراس يتلقى اتصالاً من الإدارة، فتعلقت به الأعين بأمل عارم.. وبعد حديث قصير، التفت إلينا قائلاً "يمكنكم العودة لمساكنكم.. وليكن هذا درساً لكم"

تعالى التنهدات من حولي والكل يتفرق بسرعة عائدين لمساكنهم محاولين استغلال ما بقي من الليل القصير في الراحة.. فالتفت للفتاة المستندة على ذراعي وقلت "هيا.. سنعود لمسكني.. هل تستطيعين السير؟"

وجدتها تسير خطوتين قبل أن تتعثر وقد تيبست قدماها لطول الوقوف.. وقبل أن أمسكها وجدت أن الرجل الأجش الذي كان قريباً قد أمسك ذراعها قبل أن تسقط، وقال لها "هيا.. سأساعدك على السير"

نظرت له بذعر غير مفهوم، ثم تمتمت بكلمات لم أفهمها أنا ولا هو كما يبدو.. لكنني قدرت أنها لا ترغب بمساعدته، أو أنها تخافه كما بدا في عينيها، فعدت أسندها بذراعي وأنا أقول له "شكراً لك.. سأتولى أمرها بنفسى"

فقال بابتسامة جانبية "إذن.. أراك صباحاً.. يا حمراء"

مططت شفتي بضيق ظاهر تجاهله هو وابتعد عنا عائداً إلى مسكنه.. لست أدري ما يغري بمضايقتي واستفزازي بهذه الطريقة.. يجب أن أضع حداً له قبل أن يتمادى أكثر من ذلك..

ساعدت الفتاة للعودة للمسكن الذي لم يكن بعيداً، فاستلقت على السرير على الفور وهي تعض شفرتها بألم واضح.. تركتها لأغتسل وأبدل ثيابي، ولم نكن نملك إلا ثلاث قطع من نفس الرداء، وبالكاد استطعت إخراج قدمي من الحذاء الثقيل.. وجدتها مقترحة شيئاً ما من طول الوقوف والعمل المجهد.. لكن لم أكن أملك ما أستطيع أن أعالجها به، فتأففت وأنا أعود للغرفة لأجد الفتاة قد غرقت في نوم عميق على السرير.. عندها قمت بخلع حذاءها محاذرة أن أؤذي قدميها، وغطيتها بغطائها، غطائي سابقاً، وحملت الغطاء الآخر لأفرشه على الأرض في المساحة الباقية من الغرفة.. كانت الأرضية

قاسية، لكنني لم أجد حلاً آخر وهي أكثر راحة من ذلك الكرسي البائس، فاستلقيت على الغطاء متدثرة بما بقي منه بصعوبة.. ولم أملك ترف التأفف من وضعي وأنا أغرق بدوري في نوم عميق بدون مقدمات..

ضخم.. ضخم جداً جداً.. الرأس مرفوع بالكاد والعينان متسعتان.. تقابلها ابتسامة وقحة وكلمات لزجة.. الخوف.. الذعر غير المتعقل..

لقطات أقرب لفيلم هندي.. اختطاف.. مكان ناءٍ.. وحدة شرسة.. صراخ يصم الأذن.. محاولات حقيرة.. دفاع مستميت.. ثم الضربة القاتلة.. تناثرت الدماء بعدها تلتخ الملابس والأرضية..

الزنزانة الحقيرة.. الخوف من المجهول.. ثم محاكمة صورية.. وإدانة ثابتة..

أوراق يتم توقيعه.. الكثير الكثير من الأوراق الموقعة.. وإبهام مصبوغ يبصم على جانبها.. إبرة تخترق الذراع.. وألم يسري مع المادة التي تغلغت في الوريد.. ثم ظلام تام..

في اليوم التالي، نهضنا بأجساد مضغضة ومزاج متعكر ونحن بالكاد نستطيع رفع رؤوسنا على أكتافنا.. خاصة من كان البارحة هو يومه الأول في المنجم، فهذا معناه أن التعب كان مضاعفاً لعدم تعودنا عليه.. أنا متأكدة أن أولئك الرجال الذين فكروا بالهرب لو عادوا للمساكن سيقوم الآخرون

بتقطيعهم إرباً وتعليقهم على الأعمدة التي تحوي أجهزة المراقبة المحيطة بالمساكن..
انطلقنا في اتجاه المنجم بعد الإفطار القليل الذي لم نتعود عليه بعد.. وازداد تدمير الرجل الأَجَش اليوم من كميته، إذ يبدو أنه لم يكفه البارحة حتى وقت الغداء، والذي لم يكن بأفضل حالاً من الإفطار..
وللمرة الثانية زجره الحارس بحدة دون أن يجيب طلبه.. فغمغمت وأنا أمر به بسخرية "لو أنك كفتت عن التدمير لما احتاج جسدك لكمية طعام تزيد على الآخرين.."
وابتعدت قبل أن أتلقي تعليقاً مستفزاً أكثر من الذي ألقيته، فوجدت الفتاة تتبعني بتلقائية ونحن نتجه مع الآخرين باتجاه المنجم يحيط بنا الحراس كالعادة.. فقلت لها متعجبة "هل تعتبريني كالآب الروحي مثلاً؟"

ظلت تنتظر لي بدهشة وغير فهم، ثم قالت وقد استوعبت ما قلته "أنا أطمئن للبقاء قربك أكثر من البقية.. وطبعاً أكثر من الرجال حولنا، وهم أكثر.."
فسألتها وتعجبي يزداد "يبدو ذعرك غير طبيعي بالمرة.. أنت ضعيفة حقاً، لكن هذا لا يبرر الذعر غير المفهوم الذي تحمليه تجاه الرجال جميعهم، حتى من كان يحمل نوايا طيبة تجاهك.."
قالت مطرقة "هذا شيء لا أملكه.. أنا أخشاهم جميعاً.. ولا يساعدني فقدان ذاكرتي ولا المكان الذي نحن فيه في تهدئة نفسي قليلاً.."
فقلت هازة كتفي "أنت مدركة أنني لن أفيدك في شيء.. أليس كذلك؟ مهما كنت سابقي فتاة لا حول لها ولا قوة.."

ابتسمت ابتسامة صغيرة معلقة "لا أظن ذلك البتة.."
ابتسمت بدوري باستغراب، هل تتوقع مني أن أعمل كحارس شخصي لها؟ لكنني لم ألها على فكرتها هذه، فمقارنة بها، وبسيري جوارها، أبدو بالفعل كحارس شخصي لها.. ولا أستغرب اعتمادها عليّ فهي تراني بالقوة الكافية لأدافع عنها، مقابل نعومتها هي الزائدة عن الحد..
سمعنا هديرًا على شيء من المبعدة، فتوقفنا جميعاً ونظرنا خلفنا لنرى السفينة الفضائية التي أتينا بها تهدر وهي ترتفع في السماء بشيء من السرعة مخلفة خلفها خيطاً رقيقاً من الدخان.. رغماً عني، شعرت بمرارة وأنا أرى السفينة تغادر.. وكأن خيطاً كان يصلني بالأرض وقد انقطع فجأة..
لكن الحراس لم يمهلونا وهم يستعجلوننا بتهديد.. فتنهدت ونحن نكمل طريقنا باتجاه المنجم.. ولاحظت أثناء ذلك كآبة تخيم على الفتاة.. فسألتها "ما الأمر؟ هل أنت متعبة؟"
هزت رأسها نفيًا، ثم قالت بحيرة "رأيت أحلاماً مفزعة الليلة الماضية.. لدرجة أنني أشعر بارتجافة في أعماقي حتى الآن.. لكنني لا أذكر أيًا منها"
لم أعلق وأنا أفكر في حالها.. قد يكون هذا الحلم يحمل شيئاً من ماضيها الذي نستسهل.. كما يحدث

معي أحياناً.. ثم سمعتها تضيف بصوت مرتجف “كل ما أذكره هو الدماء.. كان هناك الكثير منها.. على يدي، وعلى ملابسني، لكنني لم أكن جريحة بأي شكل.. وهذا ما يفرغني” قلت محاولة تهدئتها “لا داعي لكل هذا الفزع.. ستعود لك ذاكرتك بالتدريج وستعرفين كل شيء.. وقد تكون هذه مجرد أحلام نابعة من خوفك الشديد مما حولك..” لم يبد عليها أنها أصبحت أهدأ حالاً، وقطع حديثنا اقتربنا من البوابة الخاصة بالمنجم، فصمتنا ونحن نجتازها بعد التفتيش الدقيق، لينطلق كل منا إلى عمله بصمت..

عندما عدت لمسكني تلك الليلة، وجدت الفتاة قد استولت على سريري كالعادة وغرقت في نوم عميق.. يبدو أنها قد أعلنت هذا المسكن لها.. فهل أتركه لها وأغادر؟ أعتقد أنني سأكون أكثر راحة لو احتلت مسكنها ونمت على السرير للمرة الأولى منذ قدومنا.. تنهدت وانشغلت بالاغتسال، ثم استلقيت كالعادة على الأرض القاسية والتي لا يخفف من قسوتها ذلك الغطاء تحتي.. ظلمت أنظر للسقف المنخفض العاري من أي شيء، حتى من صبغ يغطيه.. وحتى بعد انقطاع الأضواء ظلمت أهدق فيه وأفكاري تدور كالعادة.. غداً هو يومنا الرابع في الكويكب، والثالث في العمل.. وحياتنا تدور في دوامة واحدة من العمل والنوم.. لا نكاد نتبادل أي أحاديث جانبية عن أي شيء، فما الذي سنتحدث عنه؟ حياتنا التي لم نعرفها قبل استيقاظنا في السفينة الفضائية؟ أسمائنا.. أحلامنا.. ماضينا الذي غيَّبه النسيان؟ أم حاضرننا المتشابه المكرر الذي لا يختلف بين شخص وآخر منا، رجلاً كان أم امرأة؟.. يبدو أن أفكاري أصبحت تميل للسوداوية، ونحن لازلنا في اليوم الثالث هنا.. فما الذي سأفعله بعد أسبوع، شهر، سنة، أو سنوات كثيرة من التكرار الممل؟.. هل سأطيق حياة كهذه؟.. لا.. قطعاً لا.. مرة أخرى أوقن أن استسلامي لوضعي هذا مستحيل.. لابد أن أسعى للفرار، للبحث عن سبيل للعودة للأرض، مهما تطلب مني ذلك من تضحيات.. ورغم أن المحاولات اليائسة التي رأيته منذ قدومي لا تشجعني كثيراً، إلا أن هذا لن يثنيني أو يكسر إرادتي.. لكنني لن أكون مستعجلة أبداً.. سأخطط للأمر بهدوء.. نظرت للسوار في يدي.. كل الأمور تبدأ من هذا السوار.. يبدو التخلص منه مستحيلاً، لكنه هو العقبة الوحيدة أمامي.. إن نجحت في نزعها، فقد أسقطت نصف العبء عني.. نظرت للفتاة النائمة بسلام على السرير، ثم استدت وأغمضت عيني محاولة الحصول على راحة

استعداداً لليوم الشاق غداً.. قطعاً لن أخبرها بشيء مما اعتزمته.. لست أنوي توريثها معي، أو أي شخص آخر.. ولست أنوي زيادة القيد الذي يقيدني لهذا المكان..

مضى علينا يومان ونحن في هذه الدوامة المزعجة.. لم تغدُ حياتنا أكثر سلاسة، ولم يصبح العمل أسهل وأكثر راحة.. لم نتألف مع بعضنا البعض ونحن مرغمون على البقاء معاً رغم اختلافنا.. الوحيدة التي تقربت مني هي الفتاة الرقيقة، التي أشعر أنها تلوذ بي ممن حولها.. فهي تستعين بي أكثر من استعانتني بها.. ولا أنسى الرجل الأجش الذي ما فتئ يستفزني ويخوض معي جدالات عقيمة.. لا أعلم هدفه من هذا، لكنني أفضل الإبقاء على حدود بيني وبين الآخرين.. لا أحب رفع الكلفة دون سبب، وقطعاً لا أحب أن يرفعها غيري دون إذن مني..

تلك الليلة، بعد يومين متعبين، خرجت من مسكني وجلست على صخرة قريبة منه وأنا أتأمل الجمع من حولي.. كان أغلب السكان يخلدون لمساكنهم ويغرقون في النوم فوراً بعد العمل الطويل الشاق.. لكنني لم أحبذ فعل هذا.. بعد يوم شاق ومؤلم ومرهق، من حقي أن أحظى ببعض الوقت لنفسني أتأمل الطبيعة من حولي رغم أنني أشعر بذراعي متشنجتان من الألم..

أستمتع حقاً بلحظات الصمت هذه.. حيث لست مجبرة على الحديث مع أحد ومجاملته بردود عقيمة.. أتمنى أن أخلو بنفسني بعيداً عن الآخرين، لكن الحراس الذين يحيطون بالمسكن لن يسمحوا لي بالابتعاد فقد جربت هذا من قبل.. وقوبلت برفض قاطع مع تهديد بالإحالة لمبنى الإدارة وما يتبع ذلك من عقوبة أجهلها.. لذلك اكتفيت بالجلوس قرب مسكني وتجاهل من يمر بي ويتجاهلني بدوره.. لكن يبدو أنه مكتوب على جبيني أنني أشعر بالوحدة، إذ سرعان ما رأيت الفتاة تخرج من مسكني، الذي أصبح مسكنها بالمناسبة، وتجلس قربي وهي تمنحني ابتسامة متعبة وكأنها تخبرني بتضحيتها بوقت راحتها لكي أنعم بصحبتها.. يبدو أنني سأضطر للإفصاح عن مكنون عقلي كي يفهمني الآخرون إذ غالباً ما تُفهم نظراتي خطأ..

لم يطل الوقت حتى وجدت الآخرين، الأجش والهاديء، يقتربان منا عارضين صحبتهما لنا.. يا إلهي.. يبدو أن الخلوة التي كنت أطمح لها طوال النهار قد تبخرت تماماً..

الترمت الصمت التام وأنا أركز بصري على يديّ علّ أحداً يفهم عدم رغبتني بالحديث.. بينما انشغلوا هم ببضع أحاديث عادية عن المكان والعمل الذي قاسيناه.. بدا همّ الرجلين منصباً على الفتاة التي يبدو أنهما مقتنعان بعدم قدرتها على القيام بأي عمل مجهد.. كانا يسألانها بتفصيل عما فعلته في

يومها وهي تجيبهما بارتباك.. وبعد فترة قصيرة سمعت الهادي يسألني "وأنت؟ هل كان يومك متعباً؟"

نظرت إليه لوهلة غير مدركة إن كان يوجه سؤاله لي أم لا، وقبل أن أجيب سمعت الأجش يقول "حمراء تبدو قوية الجسد.. لن يتعبك العمل في المنجم أبداً.. أليس كذلك؟" نظرت له بغیظ.. أكره التصنيفات التي يطلقها الناس عليّ بعد رؤية مذهري.. فقلت بلهجة لاسعة "لست أنتظر اهتماماً منك كي تخفف عني ثقلي.."

قطب الأجش بحنق فيما قال الهادي قبل أن انفجر في بعضنا البعض كالعادة "حسناً.. نحن نريد الاطمئنان عليكما فقط.. بصراحة العمل في المنجم مرهق ومؤلم كثيراً، ولا يبدو أنهم يترفقون بالنساء أبداً بل جلّ همهم إنهاء العمل المقرر لكل يوم في الوقت المحدد.."

صمتُ عن التعليق من جديد والفتاة تقول لي "لا داعي للغضب فكلنا يجب أن نساعد بعضنا البعض في هذا المكان"

قلت لنفسني "أنت المستفيدة الأولى من هذا هنا فستحصلين على مساعدة الكل دون مقابل" ثم سمعت الرجل الأجش يقول "أقترح أن نطلق على أنفسنا أسماء نخترها.. هذا أفضل من الألقاب وأسهل في الحديث بالنسبة لنا.. أليس كذلك؟"

قلت دون أن أرفع رأسي "هذا سهل.. سأسميك أجش.. فأنت أجش الصوت ويمكن تمييزه من على مبعدة"

قال بحنق "ماذا؟ هذا ليس اسماً.."

فقلت بتحدٍ "وحمراء ليس اسماً أيضاً.."

حك خده بأصابعه مغمغماً "لكنه يليق بك كثيراً.."

قطبت وأنا أهم بلسعه بلساني من جديد، لكن الرجل الهادي قاطعني "فكرة جيدة.. ليختر كل منا اسماً يرى أنه الأقرب إليه.. قد يتضح فيما بعد أنها أسماؤنا الحقيقية واختارناها بدون وعي.."

صمتنا مفكرين بعمق، لكن كانت الفتاة أسرعنا وهي تقول "سأختار بسمّة.. لست أدري لم، لكنه يرن في ذهني منذ مدة.."

ونظرت لي بتردد مغمغمة "أيليق بي؟"

لو كانت هذه الفتاة تعتقد أنني سأتحمس وأخبرها أن الاسم يمثلها تماماً فهي واهمة.. اكتفيت بهزة رأس وأنا أفكر من جديد في اسم لي.. فيما قال الرجل الهادي "أعتقد أنني سأختار اسم أمجد.. هو الوحيد الذي لمع في ذهني.."

نظرت للرجل الأجش فوجدته لا زال يحك رأسه بحيرة.. يبدو أنني لست الوحيدة التي تجد الأمر

صعباً.. ثم قال "عمر؟.. أدهم؟..... سامر؟ أعتقد أن اسم وسيم لا يليق بي.. أليس كذلك؟"
تساءلت وأنا أكتم ضحكتي "ألا تستقر على اسم واحد؟"
قال بحيرة "لا أدري.. الأمر ليس بالوضوح الذي توقعته.. ما رأيكم؟"
قلتُ بسرعة "أدهم يناسبك تماماً.. فكل ما فيك أسود اللون.."
نظر لي بغيظ ثم قال "حقاً؟.. وماذا عنك؟"
أطرقت للحظات قبل أن أغغم "لا أدري.. لا يرن اسم في ذهني أبداً.. لا أذكر أي اسم بتاتاً.."
قال أمجد متلطفاً "اختاري أي اسم يعجبك.. الأمر ليس بهذه الصعوبة"
قلت هازة رأسي بحيرة "لا أعرف أي اسم يمكن أن أختاره.. عقلي فارغ تماماً من هذه الناحية.."
فقال الأجش / الذي يبدو أنه استقر على اسم أدهم / ساخراً "إذاً ستظلين حمراء.."
اعترضت بسمة قائلة "ولم لا نختار لها اسماً جميلاً؟ ما رأيك؟ نجلاء اسم يليق بك كثيراً"
نظرت لها باستنكار.. اسم كنجلاء بنظري يليق بفتاة ناعمة كحيلة الطرف.. لا فتاة مثلي هي أقرب
لصبي.. هزرت رأسي رافضة، لكنها هتفت "إنه يناسبك تماماً.."
وقال أمجد "إن لم تختاري اسماً آخر فاقبلي بهذا الاسم ولو مؤقتاً.."
قال أدهم "أنا مصرّ على اسم حمراء.."
حدجته بنظرة حادة، ثم اعتدلت في جلستي وقلت "حسناً.. سأقبل به.."
فنهض أمجد قائلاً "هذا جيد.. لنخلد للنوم فغداً يومنا سيكون شاقاً"
تبعته بسمة بالابتعاد فيما ظللت أتبادل النظرات الحادة مع أدهم.. وقبل أن يفتح فمه قلت له بصرامة
"لو ناديتني بـحمراء مرة أخرى سأقتلك"
ونفضت مغادرة دون أن أعبأ بالضحكة العالية التي أطلقها خلفي..
